

قضايا الجملة بين اللغويين القدماء والمحدثين

الدكتورة فاطمة جنخدم

كلية الآداب واللغات - جامعة الأغواط - الجزائر

تمهيد:

ارتبطت دراسة الجملة في النحو العربي بمجال محدد وفترة زمنية معينة هي عصر الاحتجاج، وهذه الفترة تشمل العصر الجاهلي كله، وتمتدّ حتى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري، وفي هذه الفترة وضع النحاة وجامعو اللغة قواعد للغة، تمثلت في تحديدهم للقبائل التي يأخذون عنها، وشروطا لمن يجوز الاحتجاج بلغتهم، وهذا التحديد الذي فرضوه على الزمان والمكان كان بسبب حرصهم على اللغة من أن يدخلها اللحن والخطأ الذي يشوهها، والمهدف الأسمى الذي كان وراء هذا التحديد هو حرصهم وحشيتهم على لغة القرآن الكريم - إن ظل باب الاحتجاج مفتوحاً - أن تبتعد اللغة المقعد لها عن لغته، وبهذا المسلك يعترف النحاة العرب القدامى بأن اللغة تتغير في تراكيبها ومفرداتها ودلالة ألفاظها⁽¹⁾ وما دام النحو دراسة للعلاقات التي تربط بين الكلمات في الجملة وبيان وظائفها في منتهاه هو لبّ الدراسات اللغوية على اعتبار أنه قلب الأنظمة اللغوية جميعاً، فهو يصل بين الأصوات والمعاني، وهو القوة المحركة التي تسمح لنا بالتكلم وفهم مئات الجمل الجديدة كل يوم، والنحو هو الذي يمد الجملة

(1) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، بناء الجملة العربية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2003، ص 20.

بمعناها الأساسي، ويحدد لها عناصر هذا المعنى بتفسيره للعلاقات القائمة في اللغة بين نظام الأصوات ونظام الدلالات⁽¹⁾.

والنحو دراسة الجملة، وهذا التعبير البسيط أي دراسة الجملة هو غاية الدرس اللغوي كله لاشك، لأن اللغة الإنسانية لا تكون لغة لها معنى إلا إذا كانت موضوعية في جمل، ونحن نفكر بجمل كما يقولون، لهذا فأغلب دارسي علم اللغة يؤكدون أن مستويات اللغة الثلاثة: الصوت والصرف والتركيب هي في حقيقة الأمر في خدمة البحث الدلالي فكل دراسة لغوية في النهاية تهتم ببيان المعنى والكشف عنه، وما دامت الجملة موضوع بحثنا استلزم علينا معرفة ما الجملة؟ ما أقسامها؟ كيف نظر النحاة إلى الجملة في القديم؟ هل لاقت اهتماماً ودرسها غير النحاة من علماء الأصول وعلماء البلاغة؟ كيف نظر المحدثون إليها...

مفهوم الجملة:

اختلف النحاة في تعريف الجملة واختلط عليهم مفهومها بمفهوم الكلام والقول، واتجهوا في ذلك اتجاهات مختلفة:

الاتجاه الأول: وحد أصحابه بين المفهومين (الجملة والكلام) مثلما هو الشأن عند ابن جني والزمخشري وابن يعيش والجرجاني إذ تتفق تعريفاتهم للجملة على أنها انضمام كلمتين في تركيب إسنادي، واشترطوا فيه الإفادة والاستغناء⁽²⁾

(1) د. عاطف مذكور، علم اللغة بين القديم والحديث، دار الثقافة، القاهرة 1986، ص 173، 176.

(2) أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1952، 1956، ج 1/1 انظر:

ويعرف ابن جني الكلام بقوله هو " كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحاة الجملة" ⁽¹⁾

ويذهب الزمخشري إلى القول بالترادف بين مصطلحي الجملة والكلام قائلاً: " الكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداها للأخرى، وذلك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم نحو ضُرب زيد، وانطلق بكر، ويسمى جملة" ⁽²⁾

وأيده في هذا شارح كتابه – ابن يعيش – قائلاً: " اعلم أن الكلام عند النحويين عبارة عن كل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه ويسمى الجملة" ⁽³⁾

وأما الاتجاه الثاني، فهو يرفض ترادف المصطلحين ويفرق بينهما ويعد الجملة أعم من الكلام إذ شرطه الإفادة بخلافها ⁽⁴⁾ " ... ذلك لأن الإسناد الذي يوجد في الجملة قد يكون أصلياً في تركيب مقصود لذاته، أو أصلياً في تركيب غير

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، الفصل في صناعة الإعراب ، تقديم إميل بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1420 هـ - 1999 م ، ص 33.

⁽¹⁾الخصائص، ج1/17.

⁽²⁾شرح المفصل، ج1/20.

⁽³⁾شرح المفصل: ج1/20.

⁽⁴⁾جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري ، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، مراجعة سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، الطبعة السادسة بيروت 1985 ، ص 490.

مقصود لذاته، وأما الإسناد في الكلام، فلا بد أن يكون أصلياً في تركيب مقصود لذاته فحسب" ⁽¹⁾

وجاء عن الرضي (640 هـ) أن كل كلام جملة ولا ينعكس ذلك، وبهذا يفرق بين الكلام والجملة بقوله "والفرق بين الجملة والكلام أن الجملة ما تضمنت الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أولاً كالجملة التي هي خبر المبتدأ أو سائر ما ذكر من الجمل فيخرج المصدر وإسم الفاعل والمفعول والصيغة المشبهة والظرف مع ما أسندت إليه والكلام ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته فكل كلام جملة ولا ينعكس" ⁽²⁾ فقله هذا يعني لا تكون كل جملة كلاماً ذلك أن الجملة أعم من الكلام، فكلاهما يتضمن الإسناد الأصلي ثم ينضاف قيد إلى الإسناد الأصلي في الكلام يخصه ولا تشركه الجملة في هذا التقييد ⁽³⁾

وجاء ابن هشام - أيضاً - مخالفاً لمن قال بالترادف بين مصطلحي الجملة والكلام، ويتفق في رأيه مع الرضي ويزيد كلامه وضوحاً قائلاً: "الكلام هو القول

⁽¹⁾ انظر بناء الجملة العربية 24، ويضرب لنا مثلاً في قوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) النور: 45، يرى أن فيها نوعين من الإسناد أحدهما أصلي مقصود لذاته وهو ذلك الذي يبين لفظ الجلالة المبتدأ، والخبر وهو جملة "خلق كل دابة من ماء"، والآخر أصلي ولكنه في تركيب غير مقصود لذاته، وهو الذي يبين الفعل "خلق" والضمير المستتر فيه، والفعل وفاعله معاً خبر المبتدأ، فالآية على هذا يمكن أن يقال عنها إنها كلام لأنها تضمنت إسناداً أصلياً مقصوداً لذاته، ويمكن أن يقال عنها إنها جملة لأنها تضمنت إسناداً أصلياً، وأما جملة الخبر "خلق كل دابة من ماء" فلا يقال عنها إنها "كلام" لأن الإسناد فيها غير مقصود لذاته، بل يقال عنها إنها جملة فحسب.

⁽²⁾ جمال الدين أبو عمر عثمان بن عمر بن الحاجب ، الكافية في النحو ، شرح رضي الدين الاسترابادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1405 هـ ، 1985 م ، ج 8/1.

⁽³⁾ انظر بناء الجملة العربية، ص 25.

المفيد بالقصد والمراد بالمفيد، ما دل على معنى يحسن السكوت عليه، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، كقام زيد، والمبتدأ وخبره "زيد قائم" وبهذا يظهر لك أنهما ليسا بمترادفين كما يتوهمه كثير من الناس، والصواب أنهما أعم منه إذ شرطه الإفادة بخلافها ولهذا تسميهم يقولون جملة الشرط، وجملة الجواب وجملة الصلة وكل ذلك ليس مفيداً فليس بكلام" ⁽¹⁾ فالجملة - إذن - عند ابن هشام تقوم على فكرة الإسناد والجملة عنده تتكون من مسند ومسند إليه أي الفعل والفاعل أو المبتدأ والخبر أو ما كان بمنزلة أحدهما من نحو: ضُرب اللص، وأقائمُ الزيدان، وكان زيد قائماً، وظننته قائماً.

والكلام عنده أخص من الجملة وليس مرادفاً لها، ألا ترى أن "إن قام زيد" من قولك "إن قام زيد قام عمرو" يسمى جملة ولا يسمى كلاماً إذ لا يحسن السكوت عليه ⁽²⁾ واعترض السيوطي (911هـ) على قول ابن هشام وجاء مخالفاً له في جملة الشرط وجملة الجواب وجملة الصلة قائلاً: "وأما إطلاق الجملة على ما ذكر من الواقعة شرطاً أو جواباً أو صلة، فإطلاق مجازي لأن كلا منهما كان جملة قبل، فأطلقت الجملة عليه باعتبار ما كان كإطلاق اليتامى على البالغين نظراً إلى أنهم كانوا كذلك" ⁽³⁾

⁽¹⁾ مغني اللبيب، ص 490.

⁽²⁾ السابق: ص 490.

⁽³⁾ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، همع الموامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق د. أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1418/1992، ج 37/1.

وخلاصة القول: أن الكلام أعم من الجملة، ولا يتم الكلام إلا بتآلف عدد من الجمل للوصول إلى معنى أعم مما في الجملة وأشمل - وهذا ما ذهب إليه السيوطي - إذ حدّ الجملة هو حدّ الكلام، والجملة هي ما كان من الألفاظ قائما برأسه مفيداً لمعنى يحسن السكوت عليه، فقام زيد جملة، وزيد مجتهد جملة، وصه جملة.. وأحكك أحكك جملة وإن تدرس تنجح جملة .. وذلك لأن كل مجموعة مما سبق تؤدي بلبنتها كلها معنى يحسن السكوت عليه، ولو نقصت لبنة واحدة لاختل المعنى⁽¹⁾

وجاء في تعريف د. إبراهيم أنيس للجملة قوله " إن الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"⁽²⁾ ونجد مثل هذا المعنى عند فندريس في كتابه "اللغة" يقول: " وبعض الجمل تتكون من كلمة واحدة مثل: تعال، صه، لا، وكل واحدة من هذه تؤدي معنى كاملاً ينتهي بنفسه"⁽³⁾

وقد سبق ابن جني كلا من إبراهيم أنيس وفندريس إلى مثل هذا القول في خصائصه، قائلاً: " فكل لفظ استقل بنفسه وجنيت منه ثمرة معناه، فهو كلام"⁽⁴⁾

⁽¹⁾د. خليل أحمد عمارة، في نحو اللغة وتراكيبها، جدة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع 1404هـ ، 1984م، ص 77.

⁽²⁾د. إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثالثة 1996، ص 260-261.

⁽³⁾فندريس ، اللغة ، ترجمة الأستاذ عبد الحميد الدواخلي والدكتور محمد القصاص ، الأنجلو المصرية، ص 101.

⁽⁴⁾الخصائص، ج1/17.

ومن أمثلته التي ساقها تراكيب مختلفة نحو: زيد أخوك، وضرب سعيد، ومه، ورويداً، وأفٍ ..

خلاصة القول في هذا وما دار من كلام عن مصطلحي (الجملة والكلام) ما يأتي:

1- لم يعرف سيبويه مصطلح "الجملة" ولم يرد في كتابه إلا بالمعنى اللغوي⁽¹⁾ فسيبويه كان يعنى بالتمثيل وبوصف التراكيب في أغلب الأحيان يقول " وتقول كل رجل يأتيك فاضرب نصب، لأن يأتيك ههنا صفة، فكأنك قلت: كل رجل صالح اضرب، فإن قلت أيهم جاءك فاضرب رفعته لأن جعل جاءك في موضع الخبر"⁽²⁾ جاء في كلام سيبويه جملتان: الأولى وقعت نعتاً والثانية وقعت خبراً لكنه لم يذكر أنهما جملة وكان يستخدم مصطلح الكلام استخداماً متعدد المعاني، وأحد هذه المعاني الجملة.

2- ظهور المصطلحين (الجملة والكلام) واستخدامهما مترادفين للدلالة على شيء واحد بعينه إذ هو اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها، والقول بالترادف نسب إلى سيبويه أيضاً لكن استنتاجاً⁽³⁾.

3- كان استخدام مصطلح الكلام غالباً أكثر من استخدام مصطلح الجملة، بوصفه أخص منها:

(1) أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه ، الكتاب ، القاهرة ، المطبعة الأميرية ببولاق، 1317هـ، ج3/ 119، وانظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية، ص 140.

(2) الكتاب، ج1/ 136.

(3) بناء الجملة العربية، ص 31.

لأن الجملة عند من يرى ذلك هي ما تضمنت الإسناد الأصلي "الفعل والفاعل" أو "المبتدأ والخبر" سواء أكان هذا الإسناد مقصوداً لذاته أم لا. أما الكلام فهو ما تضمن الإسناد الأصلي وكان مقصوداً لذاته، وبهذا يكون الكلام أخص من الجملة والجملة أعم من الكلام.

4- في العصر الحاضر غلب استخدام مصطلح الجملة ونظر إليها بوصفها الخلية الحية لجسم اللغة عندما تبرز إلى حيز الوجود ⁽¹⁾ فالكلام عمل واللغة حدود هذا العمل والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط .. فاللغة إذن نظام والكلام أداء نشاطي طبقاً لصور صوتية ذهنية والكلام تطبيق صوتي ومجهود عضوي حركي تنتج عنه أصوات لغوية معينة ⁽²⁾

أقسام الجملة

كل كلمة يبدأ بها التركيب، إما أن تكون اسماً أو ظرفاً أو حرفاً وبناء على فكرة الإسناد، قسمت الجملة إلى قسمين:

القسم الأول: الجملة الاسمية هي التي وقع في صدرها اسم صريح مرفوع نحو: عمر شجاعٌ أو اسم فعل نحو هيهات العقيق أو اسم رافع لمكتف به نحو: أقائم

⁽¹⁾ بناء الجملة العربية، ص 31.

⁽²⁾ د. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الثانية 1979، ص 32.. وانظر مناهج البحث في اللغة: الأنجلو المصرية 1955، ص 30 إلى 56، وانظر: بناء الجملة العربية ص 31.

الرجلان، أو مؤول في محل رفع نحو قوله تعالى ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾⁽¹⁾ أي والصوم خير لكم.

القسم الثاني: الجملة الفعلية وهي التي وقع في صدرها فعل تاما كان أم ناقصا متصرفاً أم جامداً مبنيا للفاعل أم للمفعول

ما نستنتجه من هذا التقسيم أن النحاة اعتمدوا في تقسيمهم للجملة على الشكل دون النظر إلى المعنى، فكان من نتاج هذا التقسيم:

- عدم وضوح الإطار الذي تنتظم فيه الجملة.

- الخلط الواضح في إدراج بعض التراكيب اللغوية فحصرت في الإسمية أو في الفعلية دون تقبلها وعلى سبيل المثال جملة "هيهات العقيق" فهيهات اسم فعل ورغم هذا يجدونها جملة اسمية مع أنها لا تقبل علامات الاسم ولا علامات الفعل، ولا تشير إلى حدث أو زمن ولا علاقة إسنادية بينها وبين الاسم الذي يليها⁽²⁾

- في هذا التقسيم يأتي تحديد الجملة من حيث عدد العناصر المشتركة في تكوينها والمتبوع لأمثلة النحاة التي وضعوها لهذه التقسيمات يجدها تخرج عن الخصائص والعلامات التي وضعوها لها، فهناك الكثير من الجمل التي صدرها اسم لكنهم أدرجوها في الجملة الفعلية وأخرى اسمية صنفوها فعلية ولا فعل في صدرها: كالنداء والشرط والقسم عدوها فعلية بتقدير فعل محذوف في صدر الجملة فمثلاً جملة النداء: يا فاطمة جملة فعلية، وهذا مبني على تقدير أدعو فاطمة، أو أنادي

(1) البقرة: 183.

(2) انظر في نحو اللغة وتراكيبها، ص 81.

فاطمة.. ومثله أيضاً جملة الشرط في نحو قوله تعالى ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾⁽¹⁾ في نظر النحاة هذه الجملة فعلية بناءً على أن أدوات الشرط مختصة بالجملة الفعلية وقدروا في هذا إذا انشقت السماء انشقت ..

وعدوا أيضاً جملة القسم جملة فعلية كما في قوله تعالى ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾⁽²⁾ على تقدير: أقسم والفجر وهذا كي يتحقق الإسناد⁽³⁾.

أما ما جاء من جمل اسمية وصنفها النحاة فعلية فنحو قوله تعالى ﴿فَرِيقًا كَذِبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾⁽⁴⁾، وقدروا الجملة كذبتهم فريقاً: فعل + فاعل + مفعول به، قدم المفعول به لغرض التوكيد.

ومن الجمل التي صنفها النحاة فعلية رغم أن لا فعل في صدرها والتي يتصدرها حرف مثلاً في قوله تعالى ﴿أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾⁽⁵⁾ وقوله تعالى ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾⁽⁶⁾

ونظر بعض النحاة إلى الجملة الفعلية والجملة الاسمية، باعتبار ما تتصدره، تصدر الكلمة التي تعد ركناً رئيسياً في الجملة، أو أن الأصل فيها أن تكون من

(1) الانشقاق: 1.

(2) الفجر: 1.

(3) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ، دار الفكر العربي ، ص

38.

(4) البقرة: 87.

(5) الواقعة: 59.

(6) النازعات: 15.

أركان الجملة، فالاسمية ما كانت مكونة من مبتدأ وخبر، أو مما كان الأصل فيهما المبتدأ والخبر، والفعلية ما كانت من الفعل والفاعل، أو مما كان أصله الفعل والفاعل⁽¹⁾ وعليه نرى استبعاد النحاة لما جاء من حروف وأدوات متقدمة إذ الحروف والأدوات ليست أركاناً رئيسية في الجملة ويهملون ما تقدم من الأسماء، وأنقل هنا رأياً للدكتور خليل عمايرة في تقسيم النحاة للجملة يقول: " ترتب على تقسيمات النحاة السابقة وتحديدهم الجملتين الاسمية والفعلية دخول مصطلحات في الدرس اللغوي لها صبغة قسرية أدت إلى إيجاد ما يسمى بالإعراب المحلي والتقدير، مثل تقديم الفاعل على الفعل، إذ يقدرّون ضميراً في الفعل يعود عليه بأنه فاعل في مثل: " محمد يدرس " فهي اسمية فعلية، والجمل من الفعل والفاعل تكون خبراً للمبتدأ "محمد" وهذا من جراء نظرية العامل التي تقول أن الفاعل لا يتقدم على فعله، وإن تقدم فهو مبتدأ وهذا قول البصريين، مع أن قول الكوفيين في جانب منه صحيح على أن محمداً يبقى فاعلاً يتقدم على فعله، والصحيح أن هذا التقدم يكون لغرض التوكيد"⁽²⁾

إن تقسيم النحاة للجملة كان قائماً على أساس شكلي فالاسمية ما صدرت باسم والفعلية ما صدرت بفعل وللجملتين طرفان هما: المسند والمسند إليه (وظرف ثالث هو الإسناد وهو العلاقة التي تربط المسند بالمسند إليه) ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما في الجملة، وعندما وقف النحاة أمام جمل لا يتضح فيها المسند والمسند إليه لجأوا إلى التقدير كي يستوفوا طرفي الإسناد في الجملة، وذكر المخزومي أن الجملة

(1) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد : المقتضب ، تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، القاهرة، 1386هـ، ج4/ 128، وانظر مغني اللبيب ص 492.

(2) مجلة العلوم الإنسانية مجلد 2، عدد 8 ، سنة 1982 ، رأي في بعض أنماط التركيب الجملي ص 62.

قد تخلو من المسند إليه لفظاً أو من المسند لوضوحه وسهولة تقديره، ويؤيد هذا الرأي إبراهيم السامرائي بقوله: " ولن نخرج في بحثنا في مسألة الجملة عن الإسناد، فالجملة كيفما كانت اسمية أو فعلية قضية إسنادية" ⁽¹⁾

وسيطرت فكرة الإسناد واعتمادها أساساً للجملة جعل الدارسين يقفون أمام عدد من أساليب العربية، خالية من الإسناد كالمذح والذم والنداء والتعجب ..

ويعد هذا التقسيم للجملة إلى اسمية وفعلية، أضاف ابن هشام الجملة الظرفية، وقال الزمخشري: " والجملة على أربعة أضرب: فعلية واسمية وشرطية وظرفية .. " ⁽²⁾ مضيفاً بهذا الجملة الشرطية.. وابن يعيش يعارض شيخه قائلاً: "الجملة في الحقيقة ضربان: فعلية واسمية لأن الشرطية في التحقيق مركبة من جملتين فعليتين، الشرط فعل وفاعل، والجزاء فعل وفاعل" ⁽³⁾

ويذهب البحث مذهب " ابن يعيش" في أن الجملة في الأصل فعلية أو اسمية وما بقي إنما هو أنماط للجملة في ضوء هذين القسمين لا أقسام مستقلة.. وألحق ابن هشام الجملة الشرطية بالجملة الفعلية قائلاً: " وقد زاد الزمخشري وغيره الجملة الشرطية والصواب أنهما من قبيل الجملة الفعلية" ⁽⁴⁾

وإضافة إلى هذا التقسيم يقسمها ابن هشام تقسيماً آخر فهي عنده قسمان كبير وصغير أما الكبير فهي " الاسمية التي خبرها جملة نحو زيد قام أبوه وزيد

⁽¹⁾ د. إبراهيم السامرائي ، الفعل زمانه وأبنيته ، بيروت 1980 ، ص 201.

⁽²⁾ المفصل ص 42، وانظر شرح المفصل ج1/ 88.

⁽³⁾ شرح المفصل، ج1/ 88.

⁽⁴⁾ مغني اللبيب ص 492.

أبوه قام، والصغرى هي المبنية على المبتدأ كالجملية المخبر بها في المثالين، وقد تكون الجملة كبرى وصغرى باعتبارين نحو زيد أبوه غلامه منطلق فمجموع هذا الكلام جملة كبرى لا غير، و"غلامه منطلق" صغرى لا غير لأنها خبر، وأبوه غلامه منطلق كبرى باعتبار غلامه منطلق، وصغرى باعتبار جملة الكلام" (1)

وهذا التقسيم إلى صغرى وكبرى " ليس أنواعاً جديدة تضاف إلى نوعي الجملة، لكنه تفريع لهما" (2)

الجملة عند علماء الأصول:

اتجه اهتمام الأصوليين إلى اللغة ودراستها، انطلاقاً من اهتمامهم بالنصوص القرآنية الكريمة وبالسنة النبوية الشريفة لاستنباط الأحكام الشرعية فكان عليهم دراسة الأساليب العربية ومفرداتها كي يصلوا إلى فهم النصوص الشرعية فهما صحيحاً سليماً إذ " كان للأصوليين باع طويل في توضيح طرق الاستنباط خصوصاً ما يتعلق بالقواعد اللغوية، فأخذوا يقبلون النظر في لغة الأصول التشريعية متتبعين نشأتها وما يتعلق بتلك النشأة عند كثير من المفكرين – كما تناولوا البحث في الألفاظ ودلالاتها مراعين في ذلك مقاصد التشريع حتى تأتي تلك الدلالة بما يحقق هدفها من مراعاة لمصلحة الناس لإقامة العدل بينهم" (3) واهتم الأصوليون بالنحو، وكان من بين المسائل النحوية التي شغلت اهتمامهم البحث في الجملة،

(1) السابق، ص 492.

(2) د. مهدي المخزومي : في النحو العربي، نقد وتوجيه ، بيروت 1964 ص .

(3) السيد أحمد عبد الغفار: التصور اللغوي عند الأصوليين، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، ط1،

1981، ص 100.

وقد ذهبوا إلى القول بالترادف ^(١) بين مصطلحي (الكلام والجملة) كما ذهب القائلون بالترادف من النحاة أن "الجملة والكلام عند الأصوليين مترادفان فالجملة لفظ وضع لإفادة نسبة وهو الكلام، ولا يتألف الكلام إلا من اسمين نحو: زيد قائم أو من اسم وفعل نحو: قام زيد لأن الكلام يتضمن الإسناد، وهو يقتضي مسنداً أو مسنداً إليه" ^(١)

وجاءت الجملة عندهم قسمين: خبرية وإنشائية، فالخبر إما أن يكون صدقاً أو كذباً فالصدق هو المطابق للواقع والكذب غير المطابق ^(٢).

والإنشاء يكون طلبياً وغير طلبياً، والجملة الإنشائية تكون موضوعة لما يفهم من كلمات الطلب والتمني .. إلخ " فزيد عالم" جملة خبرية ويدل عليه تجرد الجملة من الأداة، وإذا ما أراد المتكلم التمني أو الترجي أو الاستفادة ألحق الأداة المختصة بأي نوع من الأساليب التي يريدونها كـ (ليت) مثلاً للتمني، فتكون الجملة "ليت زيدا عالم" وتسمى هذه الحالة عند الأصوليين "بوعاء الإسناد" فإذا كان

^(١) فخر الدين محمد الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب: ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة، ج 25، 26/1 .

انظر مقدمته، عن حجج الأصوليين القائلين بالترادف بين مصطلحي الكلام والجملة: ج 25، 26/1.

^(١) ابن النجار الحنبلي: شرح الكوكب المنير، تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، دار الفكر، دمشق 1980. 117/1.

^(٢) الشوكاني: محمد بن علي، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، دار الفكر (د.ت) ص 44.

الوعاء وعاء التحقق والثبوت فهي جملة خبرية، وإذا كان وعاء الاستفهام أو التمني أو الترجي، فهي جملة إنشائية⁽¹⁾

وقسمت الجملة عندهم أيضاً حسب نوعية أطرافها الإسنادية إلى اسمية وفعلية⁽²⁾ وحددوا دلالة كل منها على نحو ما ذهب إليه النحاة من طبيعة الإسناد.

وقسمت أيضاً إلى ثلاثة أقسام:

3- جملة اسمية ومثلوا لها بـ "البدر طالع"

2- جملة فعلية ومثلوا لها بـ "طلع البدر"

3- جملة مزدوجة^(*) ومثلوا لها بـ "البدر طلع" على اعتبار أن هذه الجملة

مركبة من جملتين: كبرى وصغرى على حد قولنا "زيد أبوه قائم"⁽³⁾

وهكذا فالجملة عند الأصوليين لاقت عناية واهتماماً، ولم تختلف في كثير عما ذكره النحاة إلا في تفرعات وتسميات جاءت نتيجة خوضهم في جوازات واحتمالات عقلية وخيالية للوصول إلى استنباط الأحكام التشريعية⁽⁴⁾

(1) مصطفى جمال الدين: البحث النحوي عند الأصوليين، منشورات وزارة الثقافة، العراق، دار الرشيد، بغداد، ط 1، 1980، ص 255.

(2) انظر شرح الكوكب المنير ج 1/117.

(*) الجملة المزدوجة فعلية بسند الكوفيين قدم فاعلها للعناية والاهتمام، اسمية عند البصريين وجملة (طلع) فعل وفاعل مستتر خبر.

(3) انظر: البحث النحوي عند الأصوليين ص 255.

(4) عاطف فضل: تركيب الجملة الإنشائية في غريب الحديث، دراسة وصفية تحليلية، عالم الكتب، إربد، الأردن، 2004، ص 37.

الجملة عند علماء البلاغة

قامت دراسات البلاغيين على ما أسموه بعلم المعاني وهو: " تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره" ⁽¹⁾

وكان الأساس في دراستهم لسببين ذكرهما الدكتور أحمد مطلوب في كتابه "البحث البلاغي عند العرب" ⁽²⁾

الأول: معرفة إعجاز القرآن الكريم من جهة ما خصه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف وبراعة التركيب ولطف الإيجاز.

السبب الثاني: من أجل الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في منشور العرب ومنظومه ودرس أهل البلاغة الجملة من جهة التقديم والتأخير والذكر والحذف والفصل والوصل .. وعرفوا الجملة بأنها المركب الذي تتم به الفائدة، فإن قلت: إن تأت " ثم سكت" لم يفد، كما لم يفد إذا قلت " زيد" وسكت، فلم تذكر اسماً أكثر ولا فعلاً كان منوياً في النفس معلوماً من دليل الحال ⁽³⁾ وارتبط

⁽¹⁾ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي ، مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية، ص 77.

⁽²⁾ أحمد مطلوب: البحث البلاغي عند العرب، سلسلة الموسوعة الصغيرة، منشورات الجاحظ، بغداد،

1982، ص 21، 28.

⁽³⁾ الزمخشري: جار الله، محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، القاهرة

1973، ص 89.

مفهوم الجملة. بمفهوم الكلام جاء في سر الفصاحة أن الجملة: "ما دلت على معنى يحسن السكوت عليه" ⁽¹⁾

أما الكلام فهو: "ما انتظم من الحروف المسموعة المميزة المتواضع على استعمالها أو هو ما انتظم من كلمتين فصاعداً وأفاد" ⁽²⁾

نستنتج من هذا أنهم يذهبون إلى القول بالترادف بين الجملة والكلام - حالهم في هذا حال فريق من النحاة - فالجملة والكلام عندهم تركيب وفائدة، والفائدة هي تحقيق النظم والنظم هو توخي معاني النحو في التراكيب - ما قال الجرجاني- ⁽³⁾ وهو من أبرز البلاغيين الذين بحثوا الجملة، وجاء بمصطلحات سماها "البناء" و"الترتيب" و"التعليق" وهي التي تؤدي إلى سلامة النظم، فالجرجاني جاء بنظرة أشمل من قول النحاة بالارتباط بين ركني الجملة (أي المسند والمسند إليه). والكلمة عنده ليست مقبولة أو مردولة لذاتها وإنما لمكانتها من الجمل وعلاقتها بما ترتبط به من كلمات، فالأساس عنده الكلمة التي تأخذ وظيفتها في الجملة يقول "إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلمة مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، وما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك

⁽¹⁾ (الأمير أبو محمد عبد الله بن سنان الحفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت 1982، ص 25.

⁽²⁾ (السابق، ص 54.

⁽³⁾ (أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق الشيخ محمد عبده، والشيخ حمد الشنقيطي ومحمد رشيد رضا، القاهرة 1961، ص .

وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر" ⁽¹⁾ ويقول في موضع آخر تأكيداً وتوضيحاً: "فالألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب، فلو أنك عمدت إلى بيت شعر، أو فصل نثر فعددت كلمّاته عدّاً كيف جاء واتفق، وأبطلت نضده ونظامه الذي بني عليه وفيه أفرغ المعنى وغيرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد كما أفاده، وبنسقه المخصوص أبان المراد، نحو أن نقول في " قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل " مترل قفا ذكرى من نبك وحبيب " أطرحت من كمال البيان إلى مجال الهذيان " ⁽²⁾ خلاصة هذا القول أن الجرجاني يلح على أن تكون الألفاظ في التركيب مرئية وفق ترتيب المعاني في النفس وما الجملة بصورها المختلفة إلا صورة للمعنى القائم في النفس، وتعد نظرية النظم التي أتى بها من القواعد المهمة التي يجب أن يسير عليها النحو العربي بدلاً من ذلك المنهج الذي يهتم بالنواحي الإعرابية ووجوهها التي قد تتسبب في فساد المعنى.

فضم الكلمّات بعضها إلى بعض يسمى نظماً (من الناحية اللغوية)، وغاية النحو هي دراسة الجملة أداة الإبلاغ والإفصاح، وما الجملة إلا تأليف كلمّات ونظمها على هيئة مخصوصة وفق قواعد وأحكام تفي بأداء المعاني كما هي في النفس وقول عبد القاهر " ليس النظم شيئاً إلا توحي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم " ⁽³⁾ فإنما يقصد النظم بين الكلم، لأن الكلم

⁽¹⁾ السابق: ص 38.

⁽²⁾ أساس البلاغة ص 2، 3.

⁽³⁾ دلائل الإعجاز ص 403.

لا قيمة لها بدون معنى تحملها، ومعاني النحو ليست في حركات الإعراب من نصب ورفع، بقدر ما هي البحث عن المعنى في الجمل.

وقسمت الجملة عند البلاغيين إلى قسمين: جملة الخبر وجملة الإنشاء⁽¹⁾

فأما الخبر فهو " دال على حصول أمر في الخارج، فإن كان مطابقاً له فهو الصدق وإلا فهو الكذب " ⁽²⁾ وله أضرب وأغراض مفصلة في كتب البلاغة ⁽³⁾

أما الإنشاء فهو: "استدعاء أمر غير حاصل ليحصل" ⁽⁴⁾ وقيل أن الإنشاء لا يحتمل الصدق ولا الكذب لذاته، ولا يصح أن يقال لقائله إنه صادق أو كاذب لعدم تحقق مدلوله في الخارج، وتوقفه على النطق به ⁽⁵⁾

وينقسم الإنشاء إلى قسمين: طلبي وغير طلبي: فالطلبي ما يستلزم أويستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب وأنواعه خمسة: الأمر، النهي، الاستفهام، النداء، التمني ومنهم من زاد الترجي ومنهم من أخرج النداء والتمني منها ومنهم من قسمها إلى تسعة أضرب مضيفاً الدعاء والعرض والتحضيض. أما غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب، ومنه

⁽¹⁾ أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر السكاكي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، ص 79.

⁽²⁾ يحيى بن حمزة بن علي العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: دار الكتب العلمية، بيروت ج 3/ 280.

⁽³⁾ جمال الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، بشرح وتعليق وتنقيح د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة 1975، ص 92.

⁽⁴⁾ الطراز، ج 3/ 280.

⁽⁵⁾ عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، القاهرة، (د.ت) ص 13.

صبيغ المدح والذم والتعجب، وأفعال المقاربة، وصبيغ العقود والقسم..

وذهب صاحب مفتاح العلوم إلى أن البلاغيين لا يكادون يلقون بالاً إلى هذا القسم أي (الإنشاء غير الطلبي) لقلة المباحث المتعلقة به ولأن أكثره في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء⁽¹⁾، أما النحاة فيوجهون عناية خاصة إلى معظم أنواع هذا القسم في مختلف أبواب النحو إذا عقدوا لبعضه أبواباً خاصة.

الجملة عند المحدثين:

إن البحث في الجملة هو الأساس في الدراسات اللغوية الحديثة التي تنتهج المنهج الوصفي فتتجه إلى وصف الجملة وتحليلها، وهذا لأهميتها في إظهار المعنى الذي يعد العنصر الرئيسي في دراسة بناء الجملة، والهدف الأساسي للبحث اللغوي المعاصر: يقول د. محمود فهمي حجازي: " إن أهم فرق يميز البحث البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربي القديم يكمن في أن الجهد العربي دار حول نظرية العامل، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التركيب الشكلي لعناصر الجملة وسيلة للتعبير عن معنى، ومن ثم يعد المعنى عنصراً مهماً في دراسة بناء الجملة"⁽²⁾.

وكما كان للنحاة القدماء آراء في الجملة وتعريفاتها وتقسيماتها، كان كذلك للمحدثين مواقف تختلف عن مواقف القدماء سواء من حيث الإضافة أو من حيث التناول والمعالجة وكانت لهم آراء كثيرة في هذا الموضوع إذ الهدف من دراسة الجملة وتصنيفها هو الوصول إلى المعنى الذي يريد المتحدث نقله إلى السامع

(1) مفتاح العلوم ص 78.

(2) د. محمود فهمي حجازي: مدخل إلى علم اللغة المعاصر، دار الثقافة للنشر، القاهرة 1978، ص 67.

ومن أهم آراء المحدثين الذين درسوا الجملة:

1- د. مهدي المخزومي الذي يرى أن تقسيم الجملة يجب أن يستند إلى المسند لا إلى المسند إليه قائلاً: "... يجب أن يستند تقسيم الجملة إلى المسند لا إلى المسند إليه - كما فعل النحاة - لأن أهمية الخبر أو الحديث إنما تقوم على ما يؤديه المسند من وظيفة، وعلى ما للمسند من دلالة" (1)

ويرى د. عبد الرحمن أيوب " أن الجمل العربية نوعان: إسنادية وغير إسنادية والجملة الإسنادية تنحصر في الجمل الاسمية والجمل الفعلية، أما الجمل غير الاسنادية فهي جملة النداء وجملة نعم وبئس وجملة التعجب، وما شابهها، وهذه لا يمكن أن تعد من الجمل الفعلية لجرد تأويل النحاة لها بعبارات فعلية" (2)

وقدم د. محمد حماسة عبد اللطيف محاولة أخرى لتقسيم الجملة إلى: تامة وإسنادية، وموجزة، وغير إسنادية، مفرعا التامة الإسنادية إلى اسمية، وفعلية، ووصفية والموجزة: إلى اسمية، وفعلية وجوابية. وغير الإسنادية إلى: خالفة وتعجبية، ومدح وذم، وخالفة الصوت، وندائية وتحذيرية (3)

وهو تقسيم يجمع بين معظم الصور التي ذكرها المحدثون في تقسيماتهم للجملة، وبنى د. حماسة تقسيمه للجملة الموجزة على مراعاة نوعية الحذف في التركيب، فإن حذف أحد ركني الإسناد حذفاً جائزاً فالجملة إسنادية، وإن حذف

(1) د. مهدي المخزومي: في النحو العربي قواعد وتطبيق على المنهج العلمي الحديث ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة 1966 ص 36.

(2) د. عبد الرحمن أيوب، دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، القسم الثاني، ص 129.

(3) انظر العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث ص 78.

حذفاً لازماً فالجملة موجزة⁽¹⁾ أما د. محمد إبراهيم عبادة فيقدم تصوراً جديداً للجملة ويقسمها إلى عدة أقسام هي⁽²⁾:

أ- **الجملة البسيطة**: وهي التي تتكون من مركب إنشادي واحد يؤدي فكرة مستقلة سواء أبدى المركب باسم أم بفعل أم بوصف نحو الشمس ساطعة، حضر عمر، أقائم الزيدان.

ب- **الجملة الممتدة**: تتكون من مركب إنشادي واحد وما يتعلق بعنصريه أو بأحدهما من مفردات أو مركبات غير إنشادية نحو: حضر المدير صباحاً، أقائم أخوك رغبة في الانصراف.

ج- **الجملة المزدوجة أو المتعددة**: تتكون من مركبين إنشاديين أو أكثر، وكل مركب قائم بنفسه، وليس أحدهما معتمد على الآخر، وكل مركب مساو للآخر في الأهمية، ويكون العطف رابطاً بينهما ويصلح كل مركب لتكوين جملة بسيطة أو ممتدة مستقلة بمحورها ولا مانع من أن يشمل أحد المركبات على ضمير راجع إلى مذكور في مركب سابق عليه وهناك نوع من الجمل المزدوجة أو المتعددة يتمثل في تتابع جمل مركبة

د- **الجملة المركبة**: تتكون من مركبين إنشاديين أحدهما مرتبط بالآخر ومتوقف عليه.

هـ- **الجملة المتداخلة**: تتكون من مركبين إنشاديين بينهما تداخل تركيب.

و- **الجملة المتشابهة**: تتكون من مركبات إنشادية أو مركبات مشتملة على إسناد

(1) السابق: ص 90 وما بعدها.

(2) د. محمد إبراهيم عبادة ، الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية، ص 153 وما بعدها.

وقد تلتقي فيها الجملة المركبة بالجملة المتداخلة بالجملة المزدوجة.

ومن الباحثين ⁽¹⁾ من يرى أن الجملة بسيطة ومركبة، ويقسم البسيطة إلى مجردة أو أساسية وهي التي لا يضاف إلى ركني الإسناد فيها عنصر لغوي آخر نحو قام زيد، زيد قائم وبسيطة موسعة وهي التي يضاف إلى ركنيها الأساسيين عنصراً أو أكثر يؤثر في مضمونها تقييداً أو توسعاً أو تنويعاً أو تأكيداً نحو: كان زيد قائماً .

ومنهم من يرى أن هناك جملاً أصلية وأخرى فرعية ⁽²⁾، وأضاف البعض الجملة الإفصاحية (الانفعالية) ⁽³⁾ وزاد آخرون الجملة الوصفية ⁽⁴⁾

إلى غير ذلك من التفرعات الكثيرة للجملة التي لا طائل تحتها سوى الإكثار من المصطلحات أما د. تمام حسان فقد انتهج النهج الوصفي ^(*) في دراسة

⁽¹⁾د. طاهر سليمان حمودة ، أسس الإعراب ومشكلاته ، الدار الجامعية ، الإسكندرية، ص 41.

⁽²⁾الجملة الأصلية تقابل الجمل التي لا محل لها من الإعراب، والفرعية لها محل من الإعراب، انظر أسس الإعراب ومشكلاته ص 42 (لمزيد من التفصيل).

⁽³⁾اللغة العربية معناها ومبناها ص 190.

⁽⁴⁾تشمل الجملة الوصفية: اسم الفاعل واسم المفعول واسم التفضيل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة فهي الجملة الفعلية التي تتكون من جزء من الجملة الاسمية وجزء من الجملة الفعلية نحو: أناجح أخوك؟ انظر النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم د. محمد صلاح الدين بكر، مؤسسة الصباح الكويت، ج 2/19 وانظر العلامة الإعرابية 84.

^(*) المنهج الوصفي: يكتفي بوصف أية لغة من اللغات عند شعب من الشعوب، أو لهجة من اللهجات، في وقت معين، أي أنه يبحث اللغة بحثاً عرضياً لا طويلاً، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي تسجيلاً أميناً، بمعنى أنه يقوم على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة، أي في نواحي أصواتها، ومقاطعها وأبنيثها ودلالاتها وتراكيبها وألفاظها أو في بعض هذه

الجملة إذ ذهب في دراسته إلى مجموعة من القرائن تسمى قرائن التعليق، وقد قسم هذه القرائن إلى مقالية وحالية، وقسم المقالية إلى قرائن لفظية وقرائن معنوية وقسم المعنوية إلى خمس قرائن تحت كل واحدة فروع في الغالب، وهي "الإسناد، التخصيص، النسبة، التبعية، المخالفة" وقسم اللفظية إلى ثمانية قرائن هي: "الإعراب، الرتبة، الصيغة، المطابقة، الربط، التضام، الأداة، التنعيم"⁽¹⁾

وفكرة د. تمام في ظاهرة تضافر القرائن في النحو العربي تنطلق من أن الغاية التي يسعى إليها الناظر في النص هي فهمه، وأن وسيلته إلى ذلك أن ينظر في العلامات المنطوقة أو المكتوبة في النص أي الأمثلة الكلامية ليصل بواسطتها إلى تحديد المبنى، ويرى أن تحديد المبنى بواسطة العلامة "أي المثال" ليس من العمليات العقلية الكبرى في التحليل، لأنها مسألة تعتمد على الإدراك الحسي بواسطة السمع أو البصر، أما ما هو أكثر صعوبة ودقة من ذلك فهو القفز العقلي من المبنى إلى المعنى، لأن ذلك يحتاج إلى قرائن معنوية أو لفظية أو حالية وتأتي الصعوبة كذلك من أن المبنى الصرفي الواحد يصلح لأكثر من معنى أي مسألة التعدد في المعنى الوظيفي للمبنى الواحد، فعند النظر في نص بعينه علينا أن نقرر أي المعاني المتعددة هو الذي يتعين ووسيلة الوصول إلى هذا المعنى المعين هي استخدام القرائن المتاحة في المقال لفظية أو معنوية، وقرائن حالية متاحة في المقام⁽²⁾، مع ملاحظة هنا أن كل قرينة تحمل وتؤدي وظيفتها في ظل هذه الظاهرة الكبرى "وهي تضافر القرائن" التي

النواحي، ولا يتخطى مرحلة الوصف .. انظر المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي د.

رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، ط2، 1405هـ/ 1985، ص 181، 182.

(¹) انظر اللغة العربية معناها ومبناها، ص 190.

(²) انظر : اللغة العربية معناها ومبناها، ص 191، 163، 165، 182.

تحكم استخدام القرائن جميعاً، فهذه الظاهرة ترجع في أساسها إلى أنه لا يمكن لظاهرة واحدة أن تدل بمفردها على معنى بعينه، ولو حدث ذلك لكان عدد القرائن بعدد المعاني النحوية، وهو أمر يتنافى مع ذلك المبدأ العام الآخر وهو عدد المعاني الوظيفية للمعنى الواحد⁽¹⁾ ومن ثم: فتضافر القرائن يوضح المعنى الدلالي للجملة.

الجملة عند اللغويين الغربيين:

تعريف الجملة "Phrase"

1- لغة: أصل كلمة "phrase" من اللغة الإغريقية تدل على "التحدث، طريقة العرض وتعني الظهور"⁽²⁾، وعرفت الجملة على أنها طريقة معينة للتعبير "tournure" أو تدل على التعبير "expression"⁽³⁾

وجاء في قاموس "le grand rebort": "تسمى الجملة أي طريقة كانت للكلام مشكلة من عدد من الكلمات"⁽⁴⁾

وفي بدايات القرن الثامن عشر بدأت كلمة الجملة "تظهر بمعنى مقارب للمعنى الذي سيعرف عليه في النحو التقليدي، فتطور علم التراكيب (syntaxe) جعل من

(1) السابق ص 193 ، 194.

(2) le littré: le dictionnaire de la langue française classique, ed. de 1872, matière: "phrase" et

Universolis (cd, ROM) 1999, encyclopedia Universalis France, S.A version5.

(3) le Père buffier: grammaire Française sur un plan nouveau, Paris, matière: phrase, 1759 page 50.

(4) Le grand Robert: (cd.ROM), Dictionnaires le Robert. Realisation informatique. Bureau Van Dijk, matière (phrase).

الضرورة استعمال مصطلحات يمكنها الدلالة على وحدات دالة

(Unités signifiantes) أكبر من الكلمة (Mot) ⁽¹⁾

2- اصطلاحاً: مصطلح الجملة "phrase"، لم يعرف إلا مع بدايات القرن الثامن كمصطلح نحوي هذا بالإضافة إلى مصطلحات أخرى أطلقت على الوحدات الدالة فأرنولد "Arnold" ولونسلو "Lancelot" اقتبسا من المنطق كلمة "proposition" التي احتفظت جزئياً إلى غاية القرن العشرين بدلالاتها الأساسية أي القضية، كما استعمل مصطلحات آخران على مر القرن الثامن عشر وهما "periode" التي تدل على ملفوظ طويل نوعاً ما ومنظم بلاغياً، غير أن استعمالها بدأ يتضاءل ويتلاشى في القرن التاسع عشر، وكلمة الجملة "phrase" التي من معناها الأصلي المبهم استعملت للدلالة على صيغة شكلية لوحدة معنوية تتضمن قضيتين أو أكثر مرتبطتين ومن هنا بدأ معنياً "phrase" و "proposition" يقتربان بعضهما من بعض، إذ كان يستعمل أحدهما مكان الآخر وهو الخلط الذي كشف عنه بعض النحاة أمثال "Beauzee" و "condillac" و "Sicord" الذين حاولوا التمييز بين المصطلحين الأخيرين فـ "Proposition" تشير إلى الفكرة في تنظيمها المنطقي، بينما "phrase" تدل على مظهرها النحوي أي الشكل الذي تظهر به الفكرة، ومن ثم فإن الجملة يمكنها أن تحتوي على عدة قضايا "propositions" مرتبطة بعلاقة تبعية "Dependance" أو ترابط "coordination"، ثم بدأت تأخذ مكانها معايير التفرقة الأخرى التي تمكن من معرفة الجملة إذ هي تحتوي على أكبر عدد من القضايا منه

(1) Universalis, matière: (phrase).

عن الأفعال المصرفة، لها معنى كامل، ولها تنعيم خاص بها، وتنتهي بنقطة⁽¹⁾

وتجد جملة هذه المواصفات التي أطلقت على الجملة عند النحاة الفرنسيين في تعريفاتهم لها، فالجملة: "هي وحدة التبليغ اللسانية communication linguistique هي التابع الصوتي الأصغر الذي بواسطته يوجه المتكلم خطاباً إلى المستمع"⁽²⁾ وجاء في هذا السياق أيضاً "الجملة هي متتاليات من الكلمات المنظمة بشكل معين والتي تقيم فيما بينها علاقات معينة، بمعنى أنها تخضع لقواعد نحوية معينة كما لها معان معينة نحو:

تجري السحب في السماء هي جملة / les nuages courent dans le ciel تتميز الجملة في اللغة المنطوقة أيضاً بتنعيم (intonation) خاص، ولحن (melodie) أما اللغة المكتوبة، فهي محددة بعلامات التنقيط (نقطة، فاصلة، علامات الاستفهام أو تعجب..)⁽³⁾

ومن تعريفاتهم للجملة أيضاً: "نحن نفكر ونتكلم، ليس بالكلمات المنفردة، بل بمجموعة من الكلمات كل واحدة من المجموعات المنظمة منطقياً ونحويّاً هي جملة"⁽⁴⁾

-
- (1) Universalis ، motiere (phrase).
 - (2) Maurice Greisse ، le bon usage ، grammaire française ، paris, Duculot, 12 ed ، refondue par Andre Groosse 1988 , page 293.
 - (3) Yean Dubois, .. René langane ، le mrvelle grammaire du français ، Paris ، larousse, 1973, page 14.
 - (4) Grévisse: précis de graqmmaire française Alger. ENAL, 1993, page 29.

- وتجد مثل هذه التعريفات في كثير من كتب النحو بعد أن أصبحت الجملة مصطلحاً شائع الاستعمال عند النحاة الفرنسيين، وبكفي أن تقرأ لهم حتى تدرك هذه الحقيقة وإذا انتقلت إلى العصر الحديث تجد أن اللسانيات (linguistique) الحديثة قد ورثت عن النحو التقليدي مصطلح الجملة غير أنها عرفت به بشكل يجعله أكثر عملية.

وظهرت محاولات وتيارات مختلفة في دراسة اللغة وكانت أولى المحاولات مع العالم السويسري: فردينان دي سوسير (*) الذي ميز بين مصطلحي اللسان "la langue" و"الكلام" la parole⁽¹⁾.

أما الأول "أي اللسان" فيقصد به أنواع الأنظمة، وأنماط الأبنية التي تعود إليه منطوقات اللغة، بمعنى آخر هو نظام من المواضع والإشارات التي يشترك فيها جميع أفراد مجتمع لغوي معين وتتيح لهم من ثمة الاتصال اللغوي فيما بينهم⁽²⁾

وأما الثاني "أي الكلام" فهو ما يتحدث به الفرد في المجتمع في حياته اليومية واللغة في رأي "سوسير" هي الظاهرة الاجتماعية أو المجموع الجمعي في ذهن أبناء

(*) فردينان دي سوسير: عالم لغوي ولد في جنيف عام 1857 من أصل فرنسي، درس في جنيف ثم انتقل إلى ليزج لبدأ دراسته الجامعية، عاش حياته بين برلين وبارس، في سنة 1880، حصل على الدكتوراه بعد أن تقدم بأطروحته التي تناولت اللغة السنسكريتية، كانت محاضراته الأولى عن "النحو المقارن" ثم عن "علم اللغة العام". ظهرت آراؤه وأفكاره في محاضراته التي جمعها تلميذه (باليه) وسيتشه في كتاب أسموه cours de linguistique greneragels ترجم إلى "محاضرات في علم اللغة العام" انظر الألسنية علم اللغة الحديث.

(1) د. عبده الراجحي، النحو العربي والدرس الحديث بحث في المنهج، بيروت 1979، ص 24، 25.

(2) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص 184.

أمة معينة يقول: " توجد اللغة لدى المجموعة الناطقة بها على شكل مجموعة آثار مرتسمة في كل دماغ على شكل معجم تقريباً، وتكون جميع نسخه المتماثلة موزعة بين الأفراد"⁽¹⁾ وفي موضع آخر يقول ملخصاً هذا " اللغة ليست وظيفة الفرد الناطق، وإنما هي نتاج يكتسبه الفرد أما الكلام فهو على عكس ذلك، عمل فردي للإرادة والعقل" ويرى د. عبده الراجحي أن " دي سوسير" قد ميز بين ثلاثة مصطلحات هي^(*) La parole – le langage – la langue وتمييزه بين هذه المصطلحات يفضي إلى نتيجة هامة عنده أي عند (دي سوسير) هي أن المصطلح الأول "la parole" ليس واقعة اجتماعية لأنه فردي، والفردى يقوم على عنصر الاختيار، وعنصر الاختيار لا يمكن التنبؤ به، وما لا يمكن التنبؤ به لا يمكن دراسته دراسة علمية". والمصطلح الثاني "le langage" لا يمثل كذلك واقعة اجتماعية نقية لأنه يضم إلى الجوانب الاجتماعية جوانب فردية. وعليه فإن "la langue" هي وحدها "الواقعة الاجتماعية، لأنها عامة" داخل المجتمع، وهي تمارس "فرضاً" على المتكلمين الأفراد⁽²⁾

وقد دعا "سوسير" إلى دراسة اللغة - باعتبارها نظاماً من العلامات - دراسة علمية - وبهذا يكون قد نادى باستقلال علم اللغة كي يصبح علماً قائماً بذاته، فدراسة اللغة - في رأيه - تكون في ذاتها ومن أجل ذاتها⁽³⁾

و "دي سوسير" بمنهجه الجديد، قد لفت أنظار اللغويين في الغرب أمثال بلومفيلد، وسابير إذ قام هؤلاء بدراسة لغات الهنود الحمر غير المكتوبة، ورأوا أن المنهج

⁽¹⁾ محاضرات في الألسنية العامة، ص 33.

^(*) تقابل المصطلحات الثلاث في العربية: la parole: كلام الفرد/ la langage اللغة معناها العام la langue: هي اللغة المعنية ويرى (دي سوسير) أنها الأصلح للدراسة العملية.

⁽²⁾ انظر النحو العربي والدرس الحديث ص 27، 28.

⁽³⁾ محاضرات في علم اللغة العامة، ص 35.

الوصفي هو الطريق الأمثل في الدراسة، ومن بين آراء ساير ما يأتي شرحه:

إدوارد ساير Edward Sapir: يعد كتابه "langue" من أهم الكتب في علم اللغة وأحد الدعامات الأساسية التي قام عليها علم اللغة المعاصر⁽¹⁾

قرر في كتابه هذا مجموعة من النقاط أهمها:

– أن الأشكال اللغوية ينبغي أن تدرس في ذاتها، أي باعتبارها أشكالاً، وليس على أساس من المعاني التي تتصورها ابتداءً، ولم يغفل المعنى في كل خطوة من خطوات التحليل فالجملية عنده هي التعبير عن قضية⁽²⁾ وهذا يكون ساير قد ميز بين الشكل والمضمون وقد حصر الشكل اللغوي في:

العنصر النحوي الأساسي – الكلمة – الجملة

ودراسته للشكل اللغوي جعلته يؤكد أن المنهج العلمي يرفض دراسة اللغة في ضوء دراسات سابقة لأن الدراسة ينبغي أن تكون من واقع اللغة نفسها وبهذا يكون قد رفض التقسيم التقليدي لأقسام الكلام، ورآها تصنيفات غير صحيحة ورأى أنه على الباحث أن يدرك أن لكل لغة أقسامها الخاصة وتراكيبها المتميزة⁽³⁾ وركز على نقطة هامة هي أن ثمة ارتباط بين اللغة والفكر لأن "كل لغة تحمل إراثاً اجتماعياً وثقافياً ينعكس على أبنائها من جيل إلى جيل"⁽⁴⁾ أما بلومفيلد Leonard Bloomfield: فقد كان من أتباع المدرسة السيكلولوجية في دراسة اللغة يعد كتابه

(1) انظر الألسنية علم اللغة الحديث ص 218 وانظر في نحو اللغة وتراكيبها ص 42.

(2) انظر النحو العربي والدرس الحديث، ص 24-25.

(3) انظر المدخل إلى علم اللغة، 185 والنحو العربي والدرس الحديث، ص 36.

(4) في نحو اللغة وتراكيبها ص 42.

"اللغة language" مصدر الدرس اللغوي في أمريكا وفي عدد من دول أوروبا.

تتبع مدرسة – بلومفيلد – في تحليل الجملة منهجاً مبنياً على أساس أنها مؤلفة من طبقات من مكونات الجملة بعضها أكبر من بعض إلى أن يتم تحليلها إلى عناصرها الأولية من الكلمات والمورفيمات مثال ذلك:

الجملة: يكتب المعلم رسالة

يكتب	المعلم	رسالة (رسالتن)
ي + كتب	ال + معلم	رسالة + ن
كتب	معلم	رسالة
كتب	علم	رسل

واهتم بفكرة الاستقلال في تعريف الجملة أكثر من اهتمامه بفكرة تمام المعنى، فركز على الشكل دون المعنى فقال في تعريف الجملة: "الجملة شكل لغوي مستقل، لا يدخل عن طريق أي تركيب نحوي – في شكل لغوي أكبر منه" ⁽¹⁾

جاء بعد بلومفيلد ومدرسته مدرسة أخرى – تسمى مدرسة النحو التحويلي التوليدي ^(*)

⁽¹⁾ انظر: مدخل إلى دراسة الجملة العربية ص 13 ، 14 ، وانظر: الجملة العربية دراسة لغوية نحوية ص 30، وانظر: د. محمد حسن عبد العزيز، الربط بين التراكيب في اللغة العربية المعاصرة، ص 78.

^(*) النحو التحويلي: هو العلم الذي يدرس العلاقات القائمة بين مختلف عناصر الجملة، وكذلك العلاقات بين الجمل الممكنة في لغة ما.

جاءت هذه المدرسة ثورة على المدرسة السلوكية "بلومفيلد وأتباعه"، وكان على رأسها "هاريس" وتلميذه "تشومسكي".

نشر هاريس بحوثه ما بين "1952 – 1957م" وعرف التحويل بأنه عملية نحوية تغير ترتيب المكونات في داخل جملة ما، وبوسعها حذف عناصر أو إضافتها أو استبدالها وميز بين مجموعتين فرعيتين من الجمل النحوية الكلية في اللغة.

1- الجمل النواة

2- الجمل غير النواة وهذه الأخيرة يتم اشتقاقها من الجمل النواة بواسطة قواعد تحويلية نحو القول: نَصَحَ الأستاذ الطالبة: جملة نواة. ؛ وجملة : نُصَح الطالب : جملة غير نواة

وترسم العلاقة التحويلية بين هاتين الجملتين كالآتي:

فعل متعد مبني للمعلوم + مورفيم المعلوم + (اسم 1) + (اسم 2)

فعل مبني للمجهول + مورفيم المجهول + (اسم 2)

فالتحويل إذن يقتضي الحذف والاستبدال وإعادة ترتيب المكونات، أما تلميذه تشومسكي فقد انتقد المنهج البنيوي في دراسة الفونيمات والمورفيمات ورأى أنه لا يتوافق مع دراسة الجمل ذلك أن كل لغة بها عدد محدود من الفونيمات والمورفيمات غير أن عدد الجمل في أية لغة واقعية هو عدد غير متناه، فليس هناك حد لعدد الجمل الجديدة التي يمكن أن ينشئها المتكلم، ولاحظ

والنحو التوليدي: علم يرى أن في وسع أية لغة أن تنتج ذلك العدد اللانهائي من الجمل التي تُرد بالفعل في اللغة.

تشومسكي أن هناك جملاً تحتل معنيين مختلفين ولا يميز الشكل الخارجي بينهما وغيرها من الجمل التي يكتنفها اللبس من الوجهة التركيبية، أدت به هذه الملاحظات إلى التأكيد بأن لهذه الجمل معنى ظاهراً "سطحياً" surface structure وهو الذي يقال فعلاً، ومعنى مقصوداً (عميقاً) deep structure تكون فيه العلاقات المعنوية واضحة، فالجملة في الذهن غير منطوقة تمثل البنية العميقة وهي ما يعرف عنده بـ "الجملة التوليدية" بصرف النظر عما فيها من حذف أو ترتيب أو... إلخ أما الجملة المنطوقة فهي التي تمثل البنية السطحية، التي تفرض على السامع أن يصل من خلالها في المعنى العميق.

والذي ينظم العلاقة بين المعنيين (العميق – المقصود/ السطحي – الظاهر) هو تلك القوانين التي تطبق على الأولى فتحولها إلى الثانية، وتسمى هذه القوانين بـ "القوانين التحويلية" transformational rules⁽¹⁾ وميز تشومسكي أيضاً بين مصطلحي "langue" و"Parole" فالأول يقابل مصطلح "الكفاءة" competence ويعني بها المعرفة الضمنية للمتكلم بقواعد لغته.

والثاني هو مصطلح "الأداء" performance، وهو الممارسة اللغوية الفعلية في الحياة اليومية، وهكذا فتعبير الجملة أصبح أكثر وضوحاً من ذي قبل إذ أصبح من الممكن تحليل النصوص بصورة دقيقة وأكثر انتظاماً ومع ذلك فإن الملاحظ هو صعوبة إيجاد تعريف جامع مانع للجملة. وذلك راجع إلى سعة اللغة..

(1) أعضاء على الدراسات اللغوية المعاصرة: د. نايني خرما . سلسلة عالم المعرفة 9، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، سبتمبر 1978م، ص

